ملحمة العصر

ميراث الشباب للمشيب[1]

قدم المشيب فرحباً بقدومه ... ومضى الشباب بجنّة الأحلام
وهب الشباب حفيده[2] ميرانه ... ذكرى الليالي البيض والأيام
ما زلتُ بالذكرى أحسُّ شبيبتي ... متمتعاً بصبابتي وغرامي
أمضي بعكوس الزمان مضارعي ... خلفي وماضي صبوتي قدامي
وأرى بهاء الشيب جمّل لمتي ... فعلا به عند الصحاب مقامي
إن كان ذا يُعْلاً فعذري أنهم ... وضعوا الشيوخ مواضع الاكرام
أختار من نعم الزمان وعطفه ... شفقَ الكهولة لا سباح غلام
فضحى الحياة مهدَّدٌ بكفاحها ... وأصيلها بشرى بعهد سلام
عالجته مهداً فلم يك صدقه ... إلاّ أكاذيباً من الأوهام
وخبرت ذا الدهرَ الخؤونَ فلم أجد ... إلاّ الحياة في شرور طغام
الدهر يبرأ من ذنوب لم تكن ... إلاّ ذنوب الناس والأقوام
الدهرُ يومٌ في الزمان يسير في ... رأي الطبيعة لا برأي أنام
ذهب الشباب ولم يكن حدثانه ... إلاّ تجارب للفتى المقدام
ولكم رشفتُ من الغرور كؤوسه ... والآن من حكم الحكيم مدامي

* * *

انعكاس النظام

زمن التمدن بات منقلباً كما ... انقلب المشيبُ إلى الشباب الطامي

(١) نظمت لي مدة الحرب (٢) الكهولة بنت الشباب ، والشيخوخة بنت الكهولة

الحاملون على النوابغ عالةٌ مثل الطفيليات في الأجسام
كالنحل يسمع شهده والمرء يجنيه بلا تعبٍ ولا استحرام
والمجرمون على البريء ترفعوا عزُّ الشآم مذلةٌ لكرام
يتخطرس الصعلوك إن يك آمراً ويذلُّ مأمورٌ مع استسلام
كالبدر يُزهى نازحاً عن شمسه فإذا دنا منها اختفى بظلام
وغدا عاقرة الجهالة سادةً بثرائهم في كنف شرِّ نظام
يتبجحون على عاقرة النُّهى فكأنهم هم نخبة الأعلام
لهم الكلام ولو سخيفاً ناهياً وعلى العليم سماع لغو كلام
لهم الصدارة في المقام كأنما وزن الفلوس غدا عيار مقام
فقوامهم دينارهم والنفس لا تقلُّ لها، ليست بذات قوام
يرقى الغبار الى تلال ركامه وتفائس الآلماس تحت ركام
وإذا الجهول أصاب معرفةً فيو همُّ الغرورُ برتبة العلاّم
يبدي المرائي في لقائك بسمةً ومن الوراء لواسع الشتام
ويرى فضائلك الحسودُ معائباً ويوى معائبَه المثال السامي
فتقلّبت أوضاعنا رأساً على عقبٍ كحراثٍ مضى برغام
هذي الحضارة أعضلت أدواؤها شُلَّ الضمير وضعف قلب ذمام
واستحكم السرطان في الأخلاق والآداب صارخة من الآلام

* * *

شباب التمدن

بين الشبيبة والمشيب لقيت ما لم يلقه جدّي ولا أعمامي
نورٌ بلا نار وترتيل بلا حلق وأحلام بغير منام
سمع بلا أيدٍ وألياه بلا لِسن وتقتيل بغير حسام
طيرٌ بلا جنح وتقريبٌ على بُعدٍ وإبصارٌ برغم غمام

أضحت أقاصي الأرض مثل خريطة صغرى مقلصة الرحاب أمامي
فتجمع الشرقان والغربان في دار تؤاويهم بغير زحام
هي للورى وطن رحيب واحد شُبكت به أرزاق عام بسام
وقضى اشتباكهم بحسن تعاون لكن نهبهم قضى بصدام
لو يقنعون برغدهم لتمتع الاقوام كلهم بغير خصام
لكن شيطان المطامع قد غزا الملكوت بغية هدم كل نظام
واستحكم استعمارهم بالآمنين على غرار الذئب بالأغنام
ملأت مصارفهم ملايين من العرق المطور من جباه أمام
يضنون والأموال باقية لمن ؟ المال لا يحيي رفات عظام
المال مخزون ومن تعبوا به يتحسرون على ضئيل إدام
بنوا[1] القصور وما أجيز جرومهم فيها ولو لتحية وسلام
يا ناس ما هذا التكالب والدنى مكتظة بالخير والانعام
والأرض واسعة لأضعاف الملا كل له فيها رحيب مقام
يتزلفون الى الثري عسى يجود لهم رضاه بنعمة المنعام
يتضرعون الى إله مصانع فعسى يمن لهم بالاستخدام
عجباً أيستجدون من مجهودهم أرزاقهم ؟ هي نعمة المكرام

* * *

احتضار المدنية

وتهافت المتحاربون الى الفنا فكأن عزة نصرهم بزؤام
ومحة الأوطان كارثة بها يمضي السلام الى جحيم خصام
يفدونه وطناً . فما الوطن الذي يبقى اذا ما باد كل هام

(١) الضمير يعود الى الذين قبرا

هم يبتغون بقاءهم بفنائهم بالبسالة في سخيف كلام
ساق الشبيبة سوط دكتاتورهم فهوى الهيجاء كالانعام
سكروا بخمر محبة الأوطان وافتخروا بمدفعهم وبالصمصام
ومضوا يغنون النشيد وما دروا ان التغني في احتفال حرام
لو كان هتلر مخلصاً لبلاده ورأى مصير بلاده لكام
وجهادها عبثاً وقد باتت أوامره بها شرّاً من الاجرام
وغدا دمار بلاده برضا كرمين وجون بول وأنكل سام
لقضى انتحاراً صارخاً بجيوشه أقنعت سلامتكم بالاستسلام
ومضى مجيد الذكر موفور الثنا لكن تخيّر موتة الثلاّم

* * *

ملكوت الشيطان

يا هول ماجّ الحضيض فاد من شهب مطرّ من الفضاء ضخام
وتجاوبت في الخافقين صواعق قصفت ودكت راقي الآكام
أترى الطبيعة وهي هائجة ومن أحشائها لفظت جحيم ضرام
حتى اذا سخطت على انسانها خرّت شوامخه الى الاقدام
فتقوضت فيها هياكل بذخه وحمى ثراه ومقدس الحكام
وعى عدنه لفت وحشية جزعت لها وحشية الضرغام
وفظائعٌ وجفت لها الغبراء واقشعّت بها الرقباء أي قتام
أفلا تراع بها ملائكة السلا م وتستطيل حوالك الايام
في التقى والخير في الدنيا ولم يثبت سوى الأرجاس والآثام

* * *

رحماك يارباه يارحمان هل أطلقت للشيطان كل زمام
وجعلت سكان البرية من أبا لسة الجحيم دعاة كل حرام

أترى الديمقراطية انهزمت وبلشفيزم أمسى سيد الأحكام
حتى إذا وهت القوى طلب العدالة مكرهم بتآمر الأخصام
لا السيف يقضي بينهم كلاً ولا أفك السياسة في جدال خصام
المشكلات تعقدت فتوائبت أنهاهم في دار الاستفهام
هم كفنوا روح العدالة حية من مكرهم بزخرف الأعلام
حتى إذا صرخت بهم مصروعة زجروا الصريعة في ضريح رخام
يتحفزون الى القتال كأنهم يستكثرون عليه هدنة عام
في الشباب لو استطاعوا جندوا بعد الشباب أجنة الأرحام

• • •

جور المدنية

أتباع عيسى ويحهم قد جرحوه كل يوم ألف جرح دام
سكنوا سلاح الحرب من صلبانه واستبدلوا بحسانه بسهام
باعوا محبته بمحض عدائهم واستقبلوا الغفران بالآثام
جعلوا كنائسه مرابط خيلهم وانداست الأقداس بالأقدام
قاتله ما نكل اليهود به كما نكل الطغاة بأبرياء الأخصام

• • •

مدنية نفرت بباذخ علمها والعلم بات جريمة العلاّم
لم يجرم العلم البريء وانما شر السياسة علة الاجرام
يستخدمون العلم للتدمير بل أهو المدمر أم أولو استخدام
العلم للبنيان لكن السياسة صيرته آلة الهدّام
وإذا بالاستعمار حكّم أمة في أمة بفنون الاستحكام
رق الشعوب بديل رق عبيدها كتبدل الأقساط بالأوزام

فتل للضمير فرحةً ، والخلق لا يحيي الضمير إذا مني بسقام
وإذا الضمائر والخلائق أفنيت فالحق راح ضحية الظلام

* * *

غرور المدنية

فتن الورى مدنيةٌ فتنت من عزها البرّاق كل سنام
رقيت الى العلياء حتى جاوزت فتن السماء ومسبح الأجرام
واستقرت أقصى الوجود ونقبت عن سره المكنون خلف ظلام
فاست الى قلب الهيولي واجتلت ذراتها ومدارها المترامي
واستحكمت بقوى الطبيعة عنوةً من كهرب وضيا ومرجٍ طام
واستخدمتها لانتفاع أناسها في كل ناحية وكل مرام
وكذا تشي للورى أن ينعموا لكنهم صدفوا عن الانعام
واسترسلوا بفسادهم وفجورهم تملين من شهواتهم بمدام

* * *

يا ويحها مدنية قامت بحشر جة الممات شدائد الآلام
شاخت ولمّا تتمّ شبابها كلاّ ولا اقترب الصبا للتام
الدهر عامٌ في ازمان وهرها من دهرها المعزول بعض العام
ماتت بزهرة عمرها سكريةً فكأنها ماتت بعهد فطام
تمضي بمكفنة بثوب فسادها وبكفرها والكسر والازلام
وارحمتاه على التمدن والنهى والعلم والفن الجميل السامي

* * *

أترى يقيم الله خلقاً ثانياً يبقي الصلاح على قويم نظام
ويعيش في النعماء موفور الهنا متمتعاً بمحبة وسلام؟